الصباح الإسلامية
09
العدد 2426 - السنة الثامنة
الإثنين 19 جمادى الآخرة 1437 - الموافق 28 مارس 2016
Monday 28 March 2016 - No.2426 - 8th Year

إعداد : ياسر السيد

« والله يضاعف لمن يشاء »

قوله تعالى: ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة ﴾ : يطلق المثل على الشبه: ويطلق على الصفة: فإن ذكر مماثل، فالمراد به الشبه؛ وإلا فالمراد به الصفة؛ ففي قوله تعالى: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن...﴾ [محمد: 15] المراد بالمثل الصفة؛ لأنه لم يذكر المماثل؛ أما إذا قيل: «مثل هذا كمثل هذا» فهذا يعني الشبه، كقوله تعالى: ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد نارا...﴾ [البقرة: 17]، وكما في هذه الآية: ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة ﴾ فهذا المراد به الشبه؛ يعني شبه هؤلاء كشبه هذا الشيء؛ والذي يظهر من الآية أنه لا يوجد فيها مطابقة بين الممثل، والممثل به؛ لأن «الممثل» هو العامل؛ و«الممثل به» هو العمل: فالحبة ليست بإزاء المنفق؛ لكنها بإزاء المنفق؛ والذي يكون بإزاء المنفق زارع الحبة؛ ولهذا قال بعض العلماء: إن الآية فيها تقدير: إما في المبتدأ؛ وإما في الخبر: فإما أن يقدر: مثل عمل الذين ينفقون أموالهم كمثل حبة؛ أو يقدر: مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل زارع حبة أنبتت سبع سنابل؛ والحكمة من هذا الطيّ أن يكون المثل صالحا للتمثيل بالعامل، والتمثيل بالعمل: وهذا من بلاغة القرآن؛ و «الإنفاق» معناه البذل؛ و «أموال» جمع مال؛ وهو كل ما يتموله الإنسان من أعيان، أو منافع؛ الأعيان كالدراهم، والدنانير، والسيارات، والدور، وما أشبه ذلك؛ والمنافع كمنافع العين المستأجرة؛ فإن المستأجر مالك للمنفعة.

وقوله تعالى: ﴿ في سبيل الله ﴾ : «سبيل» بمعنى طريق؛ وسبيل الله سبحانه وتعالى هو شرعه؛ لأنه يهدي إليه، ويوصل إليه؛ قال الله تعالى: ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ [الأنعام: 153] ؛ وأضيف إلى الله لسببين؛ السبب الأول: أنه هو الذي وضعه لعباده، وشرعه لهم؛ والسبب الثاني: أنه موصل إليه؛ ويضاف «السبيل» أحيانا إلى سالك السبيل؛ فيقال: سبيل المؤمنين، كما قال الله تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين﴾ [النساء: 115] ؛ ولا تناقض بينهما؛ لأنه يضاف إلى المؤمنين باعتبار أنهم هم الذين سلكوه؛ وإلى الله باعتبار أنه الذي شرعه، وأنه موصل إليه.

قوله تعالى: ﴿ كمثل حبة أنبتت سبع سنابل ﴾: حبة بذرها إنسان، فأنبتت سبع سنابل ﴿ في كل سنبلة مائة حبة ﴾؛ فتكون الجميع سبعمائة؛ فالحسنة إذاً في الإنفاق في سبيل الله تكون بسبعمائة؛ وهذا ليس حداً.

قوله تعالى: ﴿ والله يضاعف لمن يشاء ﴾ أي يزيد ثواباً لمن يشاء حسب ما تقتضيه حكمته.

قوله تعالى: ﴿ والله واسع ﴾ أي ذو سعة في جميع صفاته؛ فهو واسع العلم، والقدرة، والرحمة، والمغفرة، وغير ذلك من صفاته؛ فإنها صفات واسعة عظيمة عليا؛ و﴿ عليم ﴾ أي ذو علم - وهو واسع فيه - وعلمه شامل لكل شيء جملة، وتفصيلا؛ حاضرا، ومستقبلا، وماضيا.

الفوائد:

1 - من فوائد الآية: ضرب الأمثال؛ وهو تشبيه المعقول بالمحسوس؛ لأن ذلك أقرب إلى الفهم.

2 - ومنها: أن القرآن على غاية ما يكون من البلاغة، والفصاحة، لأن الفصاحة هي الإفصاح بالمعنى، وبيانه؛ وضرب الأمثال من أشد ما يكون إفصاحا، وبيانا؛ قال تعالى: ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ [العنكبوت: 43] .

3 - ومنها: فضيلة الإنفاق في سبيل الله؛ لأنه ينمو للمنفق حتى تكون الحبة سبعمائة حبة.

4 - ومنها: الإشارة إلى الإخلاص لله في العمل؛ لقوله تعالى: ﴿ في سبيل الله ﴾ بأن يقصدوا بذلك وجه الله عز وجل.

5 - ومنها: الإشارة إلى موافقة الشرع؛ لقوله تعالى: ﴿ في سبيل الله ﴾؛ لأن ﴿ في ﴾ للظرفية؛ والسبيل بمعنى الطريق؛ وطريق الله: شرعه؛ والمعنى: أن هذا الإنفاق لا يخرج عن شريعة الله؛ والإنفاق الذي يكون موافقا للشرع هو ما ذكره بقوله تعالى: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾ [الفرقان: 67].

ومعنى إنفاقهم في شرع الله أن يكون ذلك إخلاصا لله، واتباعا لشرعه؛ فمن نوى بإنفاقه غير الله فليس في سبيل الله؛ مثل «المرائي»؛ رجل أنفق في الجهاد، أو أنفق في الصدقة على المساكين؛ لكنه أنفق ليقال: إن فلانا جواد؛ أو إنه كريم؛ هذا ليس في سبيل الله، لأنه مراء؛ لم يقصد وجه الله عز وجل؛ إذاً لم يرد السبيل الذي يوصل إلى الله؛ ولا يهمه أن يقبل الله منه، أو لا يقبل؛ المهم عنده أنه يقال عند الناس: إنه رجل كريم، أو جواد.

وأما أن يكون على حسب شريعة الله؛ فإن أنفق في وجه لا يرضى به الله فليس في سبيل الله - وإن أخلص لله - كرجل ينفق على البدع يريد بذلك وجه الله - وهذا كثير: كبناء الربط للصوفية المنحرفة، وبناء البيوت للأعياد الميلادية، وبناء القصور للمآتم، وطبع الكتب المشتملة على بدع؛ هذا قد يريد الإنسان بذلك وجه الله لكنه خلاف شريعة الله؛ فلا يكون في سبيل الله.

6 - ومن فوائد الآية: إثبات الملكية للإنسان؛ لقوله تعالى: ﴿ أموالهم ﴾؛ فإن الإضافة هنا تفيد الملكية.

7 - ومنها: وجه الشبه في قوله تعالى: ﴿ كمثل حبة أنبتت سبع سنابل ﴾: فإن هذه الحبة أنبتت سبع سنابل؛ وشبهها الله بذلك؛ لأن السنابل غذاء للجسم، والبدن؛ كذلك الإنفاق في سبيل الله غذاء للقلب، والروح.

8 - ومنها: أن ثواب الله، وفضله أكثر من عمل العامل؛ لأنه لو عومل العامل بالعدل لكانت الحسنة بمثلها؛ لكن الله يعامله بالفضل، والزيادة؛ فتكون الحبة الواحدة سبعمائة حبة؛ بل أزيد؛ لقوله تعالى: ﴿ والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾.

9 - ومنها: إثبات الصفات الفعلية - التي تتعلق بمشيئة الله عز وجل؛ لقوله تعالى: ﴿ يضاعف ﴾؛ و«المضاعفة» فعل.

10 - ومنها: إثبات مشيئة الله؛ لقوله تعالى: ﴿ لمن يشاء ﴾؛ ولكن هل هذه المشيئة مشيئة مجردة؛ أي أن الترجيح يكون فيها بدون سبب؛ أو هي مشيئة مقيدة بما تقتضيه المصلحة، والحكمة؟ الجواب أنها مشيئة مقيدة بما تقتضيه المصلحة، والحكمة؛ وعليه فخذ هذا مقياساً: كل شيء علقه الله على المشيئة فإنه مقيد بالحكمة؛ ودليله قوله تعالى: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما﴾ [الإنسان: 30] .

11 - ومنها: أن الله له السلطان المطلق في خلقه؛ ولا أحد يعترض عليه؛ لقوله تعالى: ﴿ يضاعف لمن يشاء﴾؛ ولهذا لما تناظر رجل من المعتزلة، وآخر من أهل السنة قال له المعتزلي: أرأيت إن منعني الهدى، وقضى علي بالردى أحسن إلي، أم أساء؟ - يريد أن يبين أن أفعال العباد لا تدخل في إرادة الله؛ لأنه إذا دخلت في إرادة الله فإن هذا الذي قضى عليه بالشقاء، ومنع الهدى يكون إساءة من الله إليه، فقال له السني: إن منعك ما هو لك فقد أساء؛ وإن منعك فضله فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء؛ فغلب المعتزلي؛ لأنه ليس لك حق على الله واجب؛ والله سبحانه وتعالى يؤتي فضله من يشاء.

12 - ومن فوائد الآية: إثبات هذين الاسمين من أسماء الله: «الواسع» ، و «العليم» ؛ لقوله تعالى: ﴿ واسع عليم ﴾؛ وإثبات ما تضمناه من صفة؛ وهما السعة، والعلم.

13 - ومنها: الحث، والترغيب في الإنفاق في سبيل الله؛ يؤخذ هذا من ذكر فضيلة الإنفاق في سبيل الله، فإن الله لم يذكر هذا إلا من أجل هذا الثواب؛ فلا بد أن يعمل له.

بلال بن رباح .. أول مؤذن في الإسلام

هو بلال بن رباح الحبشي المؤذن، مولى أبي بكر الصديق ، اشتراه ثم أعتقه، وكان له خازنا، ولرسول الله مؤذنا، وكان صادق الإسلام، طاهر القلب. واسم أبيه رباح، واسم أمه حمامة.

وقد ولد بعد حادث الفيل بثلاث سنين أو أقل، وكان رجلا شديد الأدمة، نحيفا، طوالا، أجنا[1]، له شعر كثير، خفيف العارضين.

قصة إسلام بلال بن رباح :

كان من السابقين إلى الإسلام، وقد رُوي أن رسول الله وأبا بكر اعتزلا في غار، فبينما هما كذلك إذ مرّ بهما بلال وهو في غنم عبد الله بن جدعان، وبلال مولد من مولدي مكة. وكان لعبد الله بمكة مائة مملوك مولد، فلما بعث الله نبيه أمر بهم فأخرجوا من مكة إلا بلالا يرعى عليه غنمه تلك. فاطلع رسول الله رأسه من ذلك الغار، فقال: «يا راعي، هل من لبن؟» فقال بلال: ما لي إلا شاة منها قوتي، فإن شئتما آثركما بلبنها اليوم. فقال رسول الله: «ايت بها».

فجاء بها فدعا رسول الله بقعبه[2] فاعتقلها رسول الله فحلب في القعب حتى ملأه فشرب حتى روي، ثم حلب حتى ملأه فسقى أبا بكر، ثم احتلب حتى ملأه فسقى بلالا حتى روي، ثم أرسلها وهي أحفل ما كانت، ثم قال: «هل لك في الإسلام؟ فإني رسول الله». فأسلم. وقال: «اكتم إسلامك». ففعل وانصرف بغنمه وبات بها وقد أضعف لبنها، فقال له أهله: لقد رعيت مرعى طيبا فعليك به. فعاد إليه ثلاثة أيام يستقيها ويتعلم الإسلام، حتى علم المشركون بإسلامه، فقاموا بتعذيبه أشد العذاب.

مكانة بلال بن رباح وفضله :

روى مسلم بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله لبلال عند صلاة الغداة: «يا بلال، حدثني بأرجى عمل عملته عندك في الإسلام منفعة؛ فإني سمعت الليلة خشف نعليك بين يدي في الجنة». قال بلال : ما عملت عملا في الإسلام أرجى عندي منفعة من أني لا أتطهر طهورًا تامًا في ساعة من ليل ولا نهار، إلا صليت بذلك الطهور ما كتب الله لي أن أصلي.

وروى البخاري بسنده عن جابر بن عبد الله قال: كان عمر يقول: «أبو بكر سيدنا، وأعتق سيدنا»، يعني بلالاً.

وكان بلال أول من أذّن للصلاة، وهو مؤذن الرسول؛ عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله: «نعم المرء بلال، هو سيد المؤذنين، ولا يتبعه إلا مؤذن، والمؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة».

أثر الرسول في تربية بلال بن رباح :

عن عبد الله بن محمد بن الحنفية قال: انطلقت أنا وأبي إلى صهر لنا من الأنصار نعوده، فحضرت الصلاة، فقال لبعض أهله: يا جارية، ائتوني بوضوء لعلي أصلي فأستريح. قال: فأنكرنا ذلك عليه، فقال: سمعت رسول الله يقول: «قم يا بلال، فأرحنا بالصلاة».

لقد تربى بلال وتعلم في مدرسة النبوة، ورافق النبي كثيرًا، مما كان له الأثر الكبير في شخصيته. ولقد اكتشف النبي موهبته ومهارته وصوته الندي، فأمره أن يؤذن، فكان أول مؤذن في الإسلام.

أهم ملامح شخصية بلال بن رباح :

الصبر والثبات في سبيل الله :

قال عبد الله بن مسعود : «كان أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد؛ فأما رسول الله فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون وألبسوا أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم أحد إلا واتاهم على ما أرادوا إلا بلال، فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه فأخذوه فأعطوه الولدان، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول: أحد أحد».

وكان أميّة بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة على صدره، ثم يقول: لا يزال على ذلك حتى يموت أو يكفر بمحمد. فيقول وهو في ذلك: أحد أحد.

بعض مواقف بلال بن رباح مع الرسول :

روى البخاري بسنده، عن عبد الله بن أبي قتادة، عن أبيه قال: سرنا مع النبي ليلة، فقال بعض القوم: لو عرّسْت بنا يا رسول الله. قال: «أخاف أن تناموا عن الصلاة». قال بلال: أنا أوقظكم. فاضطجعوا، وأسند بلال ظهره إلى راحلته فغلبته عيناه فنام، فاستيقظ النبي وقد طلع حاجب الشمس، فقال: «يا بلال، أين ما قلت؟». قال: ما ألقيت عليّ نومة مثلها قط. قال: «إن الله قبض أرواحكم حين شاء، وردها عليكم حين شاء، يا بلال، قُمْ فأذن بالناس بالصلاة».

وعن أبي سعيد الخدري ، عن بلال قال: قال رسول الله: «يا بلال، اتق الله فقيرًا ولا تلقه غنيًا». قال: قلت: وكيف لي بذلك يا رسول الله؟ قال: «إذا رزقت فلا تخبأ، وإذا سئلت فلا تمنع». قال: قلت: وكيف لي بذلك يا رسول الله؟ قال: «هو ذاك وإلا فالنار».

بعض مواقف بلال بن رباح مع الصحابة :

مع أبي بكر :

عن سهل قال: خرج النبي يصلح بين بني عمرو بن عوف وحانت الصلاة، فجاء بلال أبا بكر فقال: حبس النبي، فتؤمّ الناس؟ قال: نعم، إن شئتم. فأقام بلال الصلاة، فتقدم أبو بكر فصلى، فجاء النبي يمشي في الصفوف يشقها شقا حتى قام في الصف الأول، فأخذ الناس بالتصفيح[3]، وكان أبو بكر لا يلتفت في صلاته، فلما أكثروا التفت فإذا النبي في الصف، فأشار إليه مكانك، فرفع أبو بكر يديه فحمد الله، ثم رجع القهقرى وراءه، وتقدم النبي فصلى.

مع ابن عمر :

روى مسلم بسنده عن ابن عمر أن رسول الله دخل الكعبة هو وأسامة وبلال وعثمان بن طلحة الحجبي فأغلقها عليه ثم مكث فيها. قال ابن عمر : فسألت بلالا حين خرج، ما صنع رسول الله؟ قال: «جعل عمودين عن يساره، وعمودًا عن يمينه، وثلاثة أعمدة وراءه، وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة ثم صلى.

بعض الأحاديث التي رواها بلال بن رباح عن الرسول :

روى ابن ماجه بسنده، عن بلال بن رباح أن النبي قال له غداة جمع: «يا بلال، أسكت الناس أو أنصت الناس» ثم قال: «إن الله تطوّل عليكم في جمعكم هذا، فوهب مسيئكم لمحسنكم، وأعطى محسنكم ما سأل، ادفعوا باسم الله».

وعن بلال قال: أذّنت في غداة باردة، فخرج النبي فلم ير في المسجد أحدًا، فقال: «أين الناس؟» فقلت: حبسهم القرّ. فقال: «اللهم أذهب عنهم البرد». قال: فلقد رأيتهم يتروحون في الصلاة.

أثر بلال بن رباح في الآخرين :

روى عنه أحاديث النبي أكثر من عشرين من الصحابة والتابعين، فممن روى عنه من الصحابة: أسامة بن زيد، والبراء بن عازب، وطارق بن شهاب بن عبد شمس، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وكعب بن عجرة، ووهب بن عبد الله. وممن روى عنه من التابعين: الأسود بن يزيد بن قيس، وشهر بن حوشب، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وغيرهم.

بعض كلمات بلال بن رباح :

كان يقول عن نفسه تواضعًا: «إنما أنا حبشي، كنت بالأمس عبدًا».

وعن هند امرأة بلال قالت: كان بلال إذا أخذ مضجعه قال: «اللهم تجاوز عن سيئاتي، واغفر لي بعلاتي».

وفاة بلال بن رباح :

لما احتضر بلال نادت امرأته: واحزناه! فقال: «واطرباه! غدًا ألقى الأحبة محمدًا وحزبه».

وقد مات بدمشق سنة عشرين، فدفن عند الباب الصغير في مقبرة دمشق، وهو ابن بضع وستين سنة.

فضائل ..صلاة الفجر للمؤمن

من فوائد صلاة الفجر

-1 أن أداءها في وقتها مع الجماعة من صفات المؤمنين.

-2 أن أداءها مع الجماعة مع صلاة العشاء يعدل قيام الليل قال صلى الله عليه وسلم : (من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله) رواه مسلم.

-3 أن من صلى الفجر فهو في ذمة الله - أي في حفظ الله : قال صلى الله عليه وسلم (من صلى الصبح فهو في ذمة الله) رواه مسلم.

-4 أن المسلم إذا استيقظ من نومه فذكر الله وتوضأ وصلى أصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان.

-5 أن أداءها في وقتها مع الجماعة من أسباب دخول الجنة والنجاة من النار مع أداء صلاة العصر. قال صلى الله عليه وسلم: (من صلى البردين دخل الجنة) متفق عليه \ » والبردان : الصبح والعصر \ ».

-6 حضور اجتماع الملائكة في صلاة الصبح وصلاة العصر. قال صلى الله عليه وسلم : (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسالهم الله - وهو أعلم بهم - كيف تركتم عبادي؟ فيقولون تركناهم وهو يصلون) متفق عليه.

ومن الأسباب المعينة للاستيقاظ لصلاة الفجر : -1 النوم مبكراً فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يكره النوم قبل صلاة العشاء والحديث بعدها إلا ما فيه مصلحه وخير .

-2 أن يحرص المسلم على آداب النوم كالدعاء قبل النوم وجمع الكفين والنفث فيهما ويقرأ سورة الإخلاص والمعوذات والنوم على طهارة.

-3 أن يستعين بمن حوله من أهله ووالديه وأقاربه وجيرانه فيوصيهم بإيقاظه.

-4 عمارة القلب بالإيمان والعمل الصالح والبعد عن المعاصي.

-5 أن يستشعر ما ورد في فضل صلاة الفجر من الأجر العظيم قال صلى الله عليه وسلم: (من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما قام الليل كله) رواه مسلم.

وما ورد في ذم تاركها مع الجماعة ومؤخرها عن وقتها من الزجر والتوبيخ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل نام ليله حتى أصبح قال : ذاك رجل بال الشيطان في أذنه \ » أو قال \ » : \ »في أذنيه\ ». رواه البخاري ومسلم.

-6 أن يحرص المسلم على أن ينفي عن نفسه صفة المنافقين، قال صلى الله عليه وسلم : (إن أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا) رواه البخاري ومسلم.